الهجين اللّغوي في الرواية الجزائرية المعاصرة
طوق الياسمين لواسيني الأعرج أنموذجا

Language Hybrid in the Algerian Contemporary Novel **in Wassini's** Tawok Elyassaminne

د. سمرة عمر

جامعة العربي التبسي – تبسة (الجزائر)

samra.amor@univ-tebessa.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/02 **تاريخ القبول: 2022/01/21**

ملخص:

يتناول هذا البحث، موضوع الرواية الجزائرية المعاصرة، ويختصّ بالدراسة محور الهجين اللغوي، الذي أصبح ظاهرة في مجال الكتابة الروائيّة، التي أثّرت على هويّة النصّ الروائيّ العربي. ويهدف البحث إلى الوقوف على ظاهرة الهجنة اللغوية، وتعدد اللغات في النص الروائي الجزائري، الذي أصبح يصطنع لغة جديدة بكلمات أجنبية وخليط من الدوارج، وبمفردات ومستويات لسانية تعود إلى أكثر من لغة واحدة، إذ إن هذه المفردات لا صلة لها باللغة المركزية وهي اللغة العربية، ولا تمثل الموروث اللساني التاريخي العربي، فهذه الهجنة أقل أصالة ولا تعبر عن نصاعة الخطاب الروائي، ومنه الخطاب الروائي لـ(واسيني الأعرج)، الذي ينزح إلى تهجين لغته المكتوبة، ويتنصل من لغة الأجداد، اللغة الأصل.

ويخلص في النتيجة إلى ضرورة الوعي بظاهرة الهجين اللغوي في مجال الكتابة الروائيّة فهو يعكس الوضع اللغوي لدولة ما، وهذا الأخير نجم عنه مخاوف عديدة من الدارسين والباحثين المهتمين لأمر اللغة العربية في الجزائر، خاصة أن ظاهرة الهجين أضحت حقيقة تحف بها من كل صوب، وهو الواقع الذي ينذر بالخطر وإذا لم يتم تداركه سيصبح آفة، لا تطال الممارسة اللغوية في مجال الكتابة الروائية فحسب، وإنما تطال جميع الممارسات اللغوية في جميع المجالات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الهجين، اللغة، الرواية، اللغة العربية، واسيني الأعرج.

Abstract:

The aim of the research is to identify the phenomenon of linguistic hybrids and multilingualism in the Algerian novella, which has become a new language with foreign words and a mixture of vowels, vocabulary and language levels belonging to more than one language. Wassini al-Araj, who tends to hybridize his written language uprooting from his ancestral native language.It is concluded that there is a need for awareness of the phenomenon of language hybrids in the field of novel writing, which reflects the linguistic status of a country. The latter has given rise to many concerns on the part of scholars and researchers interested in Arabic in Algeria, especially since the phenomenon of the hybrid has become a reality of all kinds, a reality that is an alarming one, if not addressed, will become a scourge not only affecting the practice of the language but also other domains.

***Keywords*:** Hybrid, language, novel, Arabic, wassini al-Araj.

مقدمة:

يعتمد بعض الروائيين العرب الكتابة بلغة هجينة فيقحمون كلمات فرنسية أو إنجليزية أو إسبانية داخل متونهم الروائية، بل ويرصفون نصوصا بأكملها بين ثنايا هذه المتون، لها ما يقابلها باللغة العربية مما يشكل ظاهرة تبدو غريبة على الذوق العربي، وتتم هذه الظاهرة بشكل واع ومقصود من طرف الروائيين، لأن الكتابة في نظرهم – باعتبارها نوعا من أنواع الفن– أصبحت تتأثر بما تفرزه الحضارة الغربية من قيم، ويجد الروائي مبرره في ظل هذه المنظومة القيمية الجديدة، التي يحصرها في أنها نوع من الرقي والتقدم الحضاري، ويصبح في نظره من لا ينجذب نحو هذه القيم غارق في الجهل والتخلف.

لكن في القضية مسألة وعي، وربما كان المثقف العربي والروائي بالخصوص أكثر الناس وعيا بقضايا أمته، فكثيرا ما انتفض الروائي العربي لهذه القضايا وصور حالة الحب المستفيض لوطنه وأمته.. ولكن الوطن هوية وهوية الوطن جغرافيته، تاريخه، لغته، ولا يمكن بأية صفة تحويل هذه الهوية إلى هوية قابلة للجدل تحتفظ ببعض المقومات وتنسلخ من بعضها الآخر بدعوى التطور ومواكبة العصر.

والروائي العربي بارع في كل شيء يحكيه، بارع في أن يكون سياسي يجد بسرعة الحلول اللازمة، بارع في تصوير هموم شعبه فيجعل القارئ وفيا له، بارع في رسم الأمكنة فيحملك إليها دون عناء...هو كذلك الروائي الجزائري (واسيني الأعرج) يأسرك داخل عالمه الروائي، يتركك تتخيل الأشخاص وتعيش معهم، تدخل بيوتهم وتداعب يدك أشياءهم، تتأثر لأحداثهم فتفرح أوقاتا وتبكي أوقاتا طويلة. كل هذه البراعة التي نقلها لنا (الأعرج) كانت باللغة العربية. فكم هي مؤثرة هذه اللغة أن تصنع بنا ما تشاء؟ كم هي قادرة أن تختصر عوالما بأكملها؟ أن ترسم آدميين بلحم ودم.. ؟ كل هذا يعيه (الأعرج) ولكن هل يعي أنه أساء لهذه اللغة عندما فسح فضاءات في نصوصه الروائية للغات أخرى ؟ هل يعي أن نصوصه أصبحت هجينة وأنها ستفقد خصوصيتها وهويتها إثر ذلك ؟ إن مثل هذا الإشكال يقودنا لدراسة واحدة من روايات (واسيني الأعرج) لرصد مواطن الهجين اللغوي فيها، وتبيان مدى تأثيره سلبا على خصوصية النص وقيمة الرواية لغويا. وقد اخترنا (رواية طوق الياسمين) لما تتمتع به من صدق في التجربة، وسمو في الإحساس والمشاعر يجعلها جديرة بالاهتمام والدراسة.

1/ تعريف الهجين: تحدث (البستاني) في قاموسه (محيط المحيط) عن الهجين، وعن معنى الهجين اللغوي فقال: الهجين «من مادة **هجن**، يهجُن ويهجِن هَجْنا كان هاجنا. وهجُن يهجن هجنة وهِجانة وهُجونة كان هجينا. والكلام دخل فيه عيب. هجّنه تهجينا جعله هجينا. والأمر قبّحه وعابه»[1]؛ أي أن الهجين الأمر القبيح والكلام الذي دخل فيه عيب.

وهو ما ذكره (ابن منظور) في معجمه لسان العرب حيث «الهجنة من الكلام: ما يعيبك. والهجين: العربي ابن الأمة لأنه مَعيب، والجمع: هُجُنٌ وهُجَناء، وهُجْنَانٌ ومَهَاجينٌ ومَهَاجِنَةٌ»[2]. فالهجنة هي الأمر القبيح، وفي الكلام هي ما يعاب منه، كأن يكون غير فصيح وغير مفهوم.

2/ تعريف اللغة: اللغة «ما جرى على لسان كلّ قوم. وهي الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة. و اللفظ الموضوع للمعنى، واشتقاق اللغة من لَغِيَ بالشيء أي لهج به. وأصلها لُغْيٌ

ولُغْوٌ، والنسبة إلى اللغة لُغَوِيٌّ بضم اللام ولا نقل لَغوي بفتحها والعامة تقول ج لُغًى ولُغات ولُغُون. وسمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم»[3].

إنّ معنى كلمة (**لغة**) في المعاجم العربية هو الكلام المتفق عليه داخل كل قبيلة. والمختلف بين كلّ قبيلة وأخرى. والذي يؤدي معنى مفيدا. وفي هذا المعنى تطرح قضية اختلاف اللغات والتي تفرض مبدأ الخصوصية الذي لا يمكن تجاوزه حتى لا تفقد هذه اللغات هويتها.

أما عن معنى **اللغة** الاصطلاحي ففيه يقول (ابن جني): «أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[4]. لا يبتعد (ابن جني) في تصوره لمعنى اللغة عن معناها في المعاجم العربية خاصة عندما يفرق بين لغات الأقوام (كل قوم)، فهي تلك الأصوات المتباينة بين المجموعات المتكلمة والتي تؤدي وظيفة التواصل. وهنا يؤكد (ابن جني) على قضية خصوصية اللغة واستقلاليتها.

3/ تعريف الهجين اللغوي: الهجين اللغوي «خلط في التعبير وتداخل بين الألفاظ وعبارات اللهجة العامية المحلية، وألفاظ وصيغ وتراكيب من لغة ولغات أجنبية دخيلة ذات تأثير على المتلقي»[5]؛ فهو مزيج الألفاظ والعبارات التي تداخل بشكل مختلط، وتكون دخيلة على اللغة الأصلية، وتؤثر على المتلقي بشكل سلبي.

ويعرف أيضا على أنه: «عملية ابتداع لغة تقريبية أي هي خليط من نوعيات مختلفة مخترعة لم تحافظ على أبنية المفردات المقترضة من اللغات المولدة منها لا سيما المستوى الصوتي، فالتهجين إذن عملية اصطناع تنوع، رطانة لغوية نتيجة المزج بين نظام تنوعين لغويين أو أكثر، وقد اصطنعت هذه التنوعات اللغوية لأغراض الاتصال العاجل بين الجماعات اللغوية التي لا تملك فرص النجاح إذا ما استخدمت لغاتها الأصلية لعدم وجود قناة لغوية مشتركة تؤدي إلى تخاطب مفهوم، ثم توسعت هذه الرطانات وصارت لغات متداولة»[6]؛ فهو ابتداع للغة هجينة، تتكون من لغات ولهجات وأنظمة لسانية مختلفة وتستخدم للتداول بين الجماعات، التي تفقد القدرة على التواصل بلغتها الأصلية.

وتتمثل «هذه الظاهرة في تهجين أفراد الجماعة اللغوية للغتهم المحكية أو المكتوبة بكلمات والمفردات تنتمي إلى لغة أجنبية أخرى، وتتم هذه الظاهرة بشكل واع ومعتمد عن طريق المحاكاة أو بشكل غير واع متعمد، ويعتقد من يمارسها بأنها نوع من الرقى الحضاري ويصبح في نظرهم من لا يمارسها غارقا في غياهب التخلف»[7]؛ فالهجين اللغوي يصنعه أفراد الجماعة اللغوية الواحدة للغتهم، وعلى أساسه يتم تداول لغة جديدة تختلف عن اللغة الأصل، وهي في نظرهم لغة حضارية وراقية، ومن لا يتداولها فهو متخلف.

والهجين اللغوي في الرواية هو ذلك المزيج من اللغات المختلفة في النص الروائي الواحد والذي يحدث تشويشا لدى القارئ لحظة اصطدامه بذلك النص. وإذا أردنا إسقاط هذا التعريف على رواية (واسيني الأعرج) (**طوق الياسمين**) سنجده في المفردات والتراكيب والنصوص المختلفة اللغات واللهجات التي يستعملها (واسيني الأعرج) لنقل تجربته الإبداعية. وعلى الرغم من المعنى السلبي الذي جنيناه من تعريف الهجين اللغوي إلا أنّ هناك من يرى في القضية مسألة وعي وابتكار وسير نحو التقدم وانخراط في ما تقدمه نظرية النقد الروائي الجديد، خاصة جهود الناقد (ميخائيل باختين) فيما يتعلق باللغة الروائية والتي تفيد بضرورة ربط اللغة بالواقع[8]؛ ويرى (باختين) أنّ لغة الرواية يجب أن تقوم على الإفادة من أشكال القول الإنساني في المخزون الثقافي واللغوي والاجتماعي للكاتب[9]؛ أي الرواية يجب أن تعكس ثقافة الروائي، فلا شيء يمنعه من الإفادة من أشكال القصص والأساطير والأمثال الشعبية .. واستعمال مختلف مستويات اللغة بل والمزج بين اللغات واللهجات المختلفة حتى تبرز ذلك الصراع الطبقي في المجتمع[10]؛ لأنّ اللغة حسبه ليست وسيطا خاضعا لقوانين موضوعية إستيتيكية أو شكل جمالي منمق يتم التلاعب فيه بالألفاظ بمنأى عن أي عمق أو دلالة. بل ينظر إليها كفضاء إبداعي ورؤية للعالم ووعي[11].

لكن إذا سلمنا بهذا الطرح الباختيني سيصعب علينا الكشف عن هوية النصوص الروائية. نعم الرواية تعكس في بعض جوانبها واقع المجتمعات والصراعات الناشئة فيها ولكن لا يمكننا أن نتهم اللغة الأصل بأنها لغة قاصرة لا يمكنها نقل ذلك الصراع، فاللغات عبر تاريخها استطاعت أن تعبر عن التجارب الإنسانية المختلفة، فقد كانت اللغة الفصحى

ومازالت نافذة الإنسان إلى العالم ووسيلته في الاتصال والتواصل. وقد استطاعت اللغة العربية الفصحى أن تحمل وتسجل تراث الأمة وأن تكون لسانها الفكري والثقافي. فاللغة العربية هوية الأمة العربية تضمن وحدتها وتماسكها، وتسهم في بناء الحضارة الإنسانية.

على ضوء ما سبق واتكاء على مفهوم (**الهجين اللغوي**) الذي يعدّ أحد المظاهر اللافتة للانتباه في الرواية الجزائرية المعاصرة، سنحاول مقاربة الهجين اللغوي في رواية "**طوق الياسمين**" للروائي الجزائري (واسيني الأعرج).

4/ التعريف بالروائي: واسيني الأعرج (1954): روائي وقاص جزائري، ولد بقرية سيدي بوجنان، ولاية تلمسان، ينحدر من عائلة فقيرة استشهد والده وكان من عمال المناجم في حرب التحرير سنة 1959م. درس واسيني بتلمسان وجامعة وهران التي حصل منها على الإجازة في الأدب العربي سنة 1977م. انتقل إلى دمشق وأقام فيها حتى عام 1985م. وحصل هناك على شهادة الماجستير ببحث عنوانه "نظرية البطل في الرواية العربية". عمل بعد عودته إلى الجزائر 1985م أستاذا للمناهج والأدب الحديث وأشرف على الكثير من فرق البحث العلمي المهتمة بالنوع الروائي.

غادر الجزائر سنة 1994م باتجاه باريس بدعوة من المدرسة العليا للأساتذة، وجامعة السربون. ويشغل اليوم أستاذ كرسي بين الجامعة المركزية بالجزائر وجامعة السربون.

تنتمي أعمال واسيني الروائية على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد. بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية في مجال اللغة فاللغة ليست معطى جاهزا ولكنها بحث دائم ومستمر.

وأهم هذه الأعمال الروائية: البوابة الزرقاء(وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر) 1981م–سيدة المقام1995م–ذاكرة الماء 1997م– شرفات بحر الشمال 2001م– المخطوطة الشرقية 2002م.. والرواية محل الدراسة[12].

5/ تقديم الرواية:

طوق الياسمين (رسائل في الشوق والصبابة والحنين) رواية حزن وأسى، وهي رواية تنتمي إلى أدب السيرة الذاتية، فيها كتب (واسيني الأعرج) جزءا من تاريخه وذكرياته. وتتكون الرواية من أربعة فصول: سحر الكتابة، الطفلة والمدينة، بداية التحول، مسالك النور. وتسرد هذه الفصول مجتمعة أحداثا احتضنتها مدينة دمشق كان أبطالها مجموعة من طلبة الدراسات العليا وأهمهم (واسيني الأعرج) ومريم وعيد عشاب وسلفيا. وفي الرواية ثلاثة أصوات رئيسية جسدتها رسائل مريم وواسيني المتبادلة ورسائل (عيد عشاب) لـ(سلفيا).

وقد سرد الراوي الأحداث بجرأة، حيث تحولت معه الكتابة إلى نوع من الإفضاء؛ لأن البوح بتلك الأسرار عن طريق الكتابة يعتبره واسيني عزاء ومخرجا يتنفس من خلاله، فقد باتت الكتابة ضرورية بالنسبة إليه، في خضم ما يعيشه من مآس وجراحات، فهي التي تواسيه وتضمد جراحه يقول: "عندما ننكسر الشيء الوحيد الذي يجعلنا نجبر الكسور هو الكتابة".

وأهم ما يميز رواية طوق الياسمين أن عملية السرد فيها لا تخضع للطريقة الكلاسيكية الخطية؛ حيث أن عدد الرواة فيها ثلاثة (الأعرج، مريم، عيد عشاب)، ولغة الرواية شاعرية استطاعت أن تنقل صدق ومشاعر كاتبها، وفي جزء آخر من الرواية لغة صوفية خاصة تلك الموجودة في رسائل "عيد عشاب"، وتجمع الرواية العديد من اللغات واللهجات؛ عربية، فرنسية، إسبانية، عامية جزائرية، عامية سورية، ويغلب على الرواية نصوص رسائل العشق والغرام المتبادلة بين شخوص الرواية وأبطالها، لذا جاء عنوانها: طوق الياسمين رسائل في الشوق والصبابة والحنين.

6/ الهجين اللغوي في رواية طوق الياسمين (رسائل في العشق والصبابة والحنين):

يتوسل واسيني أنواعا من اللغات لإيصال أفكاره إلى المتلقي، حيث يستعمل إلى جانب اللغة العربية الفصحى –وما تتوفر عليه من خصائص من تنوع في أصواتها، وسعة مفرداتها، ومرونة أنظمتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية– لغات أخرى، كاللغة الفرنسية والإسبانية ولهجات عربية مختلفة كاللهجة الجزائرية واللهجة السورية. وعلى الرغم

من صعوبة تفكيك هذه اللغات واللهجات من بعضها البعض داخل نص الرواية، سنحاول تناول بعض المفردات والتراكيب والنصوص الدخيلة على لغة النص الأصلية.

6-1/ استعمال اللغة العربية الفصحى:

تعرف اللغة العربية الفصحى بأنها لغة الكتابة التي تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات، وشؤون القضاء والتشريع والإدارة، ويؤلف بها الشعر والنثر الفني، وتستخدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات، وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلة إلى الآداب والعلوم[13]، وكانت اللغة العربية الفصحى في الرواية لغة بارعة حيث عكست الرصيد اللغوي للروائي واتسعت لحمل كل همومه وانكساراته. ومثالها في الرواية النصين الآتيتين[14]:

- "عشرون سنة انطفأت. أشياء كثيرة تغيرت. الأرض التي أحببنا صارت مريضة، الناس الذين قاسمونا النور والفراش والحزن تغيروا، منذ ذلك الزمن الذي صار اليوم بعيدا. من مات مات ومن امتطى الريح أو البحر فعل بدون تردد، وبقينا نحن هنا، بالضبط كما تركنا للمرة الأخيرة، على حافة هذا البحر المنسي، نحسب السنوات والوجوه والصور التي مرت بكثير من الحزن والصبر. شاق هو الفراق الأبدي ومع ذلك علينا أن نتدرب على النسيان لنستطيع العيش. لم يبق من الوقت الكثير، يجب أن نفترق أن نمحو من الذاكرة أنا التقينا ذات ليلة باردة".
- "أصعب الأشياء في الحياة هي البدايات. عليها تترتب كل الحماقات اللاحقة . لأول مرة أنظر إلى الشمس في هذه المدينة بعينين مفتوحتين عن آخرهما فلم أر لا أشعة ولا بياضا ولا حتى تلك الانكسارات الملونة التي تعودت رؤيتها كلما واجهت الشمس بعيون عارية ولكني رأيت والدي الذي نسيني في هذا القفر وهو يركض نحو السواد، تاركا وراءه امرأة طيبة تنتظر يوميا عودته على الحافة الفاصلة في حي الزاوية في مدينة تبسة، بين المقبرة والمدينة حتى صارت مثل السراب. أعتقد جازما أن الشمس انسحبت وأن كل ما كنت أراه هو مجرد بقايا انكسارات هائلة وشظايا كانت تنطفئ الواحدة تلوى الأخرى".

المتأمل في النصين السابقين يجد أنهما يرتكزان على اللغة العربية الفصحى في بنائهما وتشكلهما. ويجد أن اللغة العربية الفصحى استطاعت دون أي وسيط أن تترجم الحالة النفسية الصعبة للبطل. وأن تكون وعاء حاملا لتلك التصورات الصوفية، وحاملة للصور الساحرة التي تطرح أسئلة الخلق والنهايات، واللغة العربية الفصيحة لغة راقية ومرنة تستوعب كل ألوان الفنون؛ فهي لغة القصة القصيرة والرواية والمقالة والخطاب الثقافي والمعرفي في المجلات الثقافية والمتخصصة. كما أنها لغة الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية في نشرات الأخبار وتقارير الاستطلاعات الأنثروبولوجية والكشوف العلمية والأفلام الوثائقية والتسجيلية والدراما التاريخية. فهي لغة لها مكانتها وإمكانياتها الخاصة دون باقي اللغات الأخرى، والتي نكتشفها بالحدس، على أنها الفصيحة المغايرة للهجات العاميّة المحليّة المعاصرة على اختلافها[15].

6-2/ استعمال اللغة الفرنسية:

تعد اللغة الفرنسية من اللغات المعروفة في العالم، إذ تنتشر في العديد من الدول، حيث إنها تحتل المرتبة التاسعة عالمياً من حيث الانتشار، ومما ساهم في انتشارها الحملات الفرنسية الاستعمارية فيما مضى، أما اليوم فإنّ نسبة مستخدمي هذه اللغة تقدر بقرابة 3% تقريباً من سكان العالم، وهي تنتشر في ما يزيد عن ثلاثين دولة حول العالم، وبالأخص في عدد من الدول الواقعة في قارة أفريقيا، كما أنها تنتشر أيضاً في كل من أوروبا، وآسيا، بالإضافة إلى كندا، وهي اللغة الوحيدة المنتشرة في القارات الخمس كلغة رسمية إلى جانب اللغة الإنجليزية. تتضمن اللغة الفرنسية ستة وعشرين حرفاً، حيث بنيت ألفبائية هذه اللغة على ألفبائية اللغة اللاتينية[16].

وقد وظف واسيني هذه اللغة في نصه الروائي طوق الياسمين، فجاءت على شكل مفردات وجمل ونصوص وكانت اللغة الأكثر حضورا وتجسيدا لحالات العشق والرومانسية.

6-2-1/ الكلمات: على الرغم من تعريب الروائي العديد من الكلمات ك: المانطو، سان جون بيرس، ساروجا، صالة، الكاطو.. إلا أنه يستعمل في المقابل عددا كبيرا من الكلمات الفرنسية مثل: "... Le desert, pall-mall, poéme"[17]؛

وتعني الأولى الصحراء والثالثة الشّعر وتطلق الثانية على نوع من السجائر.

6–2–2/ الجمل: ومثالها الجمل الآتية:

"Je suis très fatigue". "le risque zéro n'existe pas". " Une façon de parles"....(18)

وهي جمل لها ما يقابلها باللغة العربية فالأولى تقابلها جملة "أنا متعبة جدا". والثانية "اليقين المطلق غير موجود". والثالثة "مجرد كلام". وهي جمل وظفها الكاتب لينقل الحوار الذي كان بينه وبين مريم. فمريم الفتاة الجزائرية البسيطة التي تسكن في البادية جعلها الروائي تتلفظ بلغة فرنسية متقنة فصنع تناقضا في شخصها، وجعل القارئ يشك في هويتها.

6–2–3/ النصوص: تنتشر النصوص باللغة الفرنسية في الرواية بشكل ملفت للانتباه، وهي نصوص يتراوح حجمها بين القصر والطول، ومثالها النصين الآتيين:

(Est-ce qu'on t'a jamais dit ça? Avec toi on sent en sécurité. Ce qui rend une femme plus confiante c'est cela. Nos hommes sont en déficite d'amour parce qu' il ne savent pas rendre visible leur cote intime)(19).

(Aujourd'hui j'ai décide de ne plus mettre de gans de de dire à haute voix ce que je pense quitte à te vexer ou le peiner. C'est comme ça)(20).

نجد ترجمة للنصين السابقين في الرواية، حيث يجعل الكاتب هذه النصوص في المتن ويشير إليها ثم يترجمها باللغة العربية في الهامش. وهي نصوص لغتها شعرية ومعبرة، مرة تكون على لسان الراوي ومرة تكون بلسان (مريم) البطلة، والملاحظ في كل مقاطع الرواية السردية أن الكاتب يستعمل هذه النصوص للتعبير عن لحظات الحب والعشق والسعادة، ويستعمل اللغة العربية لتذكر لحظات الحزن والأسى؛ وكأنه يقول: أن اللغة الفرنسية هي الأقدر على حمل لغة العشاق وتجسيد مشاعرهم، بينما يربط اللغة العربية بدلالات سلبية لكن اللغة العربية كانت ولا تزال قادرة على التعبير عن كل حالات الحب وأوقات السعادة. وما أكثر النصوص العربية التي كتبت في هذا المجال شعرا ونثرا، والدلالات السلبية للغة العربية في الرواية تتعلق بثقافة الكاتب وحالته النفسية.

6-3/ استعمال اللغة الإسبانية:

تعد اللغة الإسبانية واحدة من أجمل لغات العالم وأكثرها انتشارا، ويبلغ متحدثي اللغة الإسبانية كلغة أم فهم 548 مليون نسمة. هذه اللغة لا تقتصر على المملكة الإسبانية فحسب، بل هي اللغة الرسمية لأكثر من 20 دولة، على سبيل المثال في أمريكا الشمالية تبدأ اللغة الإسبانية من المكسيك وحتى آخر أمريكا الجنوبية، ما عدا البرازيل التي بدورها تضع اللغة الإسبانية كلغة ثانية بعد البرتغالية. وتنتمي اللغة الإسبانية إلى اللغات الهندو أوروبية وهي من أكبر أسر اللغات وواحدة من أقدمها. تعود هذه اللغات إلى ما قبل التاريخ وتشترك بجذور هندية وأوروبية بدائية[21].

وقد تمثلت الإسبانية في الرواية في كلمة (Basta) وهي كلمة متداولة في اللغة الإسبانية ومعناها باللغة العربية (يكفي)، وقد ترددت في الرواية عدة مرات. وهي كلمة مشبعة دلاليا تفرز معاني أخرى عندما تدخل في حقل الفلسفة والدين والسياسة.. إلخ.

6-4/ استعمال اللغة الإنجليزية:

اللغة الإنجليزية من اللغات الجرمانية الغربية، والتي نشأت قديماً من اللهجات الأنجلو فريزية، وقد دخلت إلى بريطانيا بوساطة المستوطنين، أو الغزاة الجرمانيين واستخدمت مفردات تختلف عن اللغات الأوروبية التي كانت متواجدة في ذات العصر، فقد أتى قسم كبير من المفردات الإنجليزية الجديدة من لغات تُعرف باسم أنجلو نورمان، وما يشار إليه أنّ الإنجليزية استخدمت الكثير من الألفاظ والمفردات الداخلية التي تعود في منشئها إلى لغاتٍ أخرى[22].

وقد كانت اللغة الإنجليزية حاضرة في جملة (Love story)، وقد استعمل الكاتب هذه الجملة – في نص الرواية – كعنوان لكتاب كان قد بعثه (عيد عشاب) لـ(سهام) ابنة مدينته وحبيبته الأولى.

6-5/ استعمال العامية (الدّارجة – المحكية):

تعرف اللهجة العامية بأنها طريقة الحديث التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس وتجري بها كافة تعاملاتهم الكلامية، وهي عادة لغوية في بيئة خاصة تكون هذه العادة صوتية في غالب الأحيان[23].

فالعامية ظاهرة لغوية توجد في جميع لغات العالم، وتتعايش مع اللغات الأصلية للبلدان، مثل اللغة العربية، وكما للغة الأصل مجالاتها واستعمالاتها الخاصة بها، فإن للهجة العامية مجالاتها واستعمالاتها الخاصة بها أيضا[24].

وفي الرواية تنقسم اللغة العامية العربية إلى لهجتين؛ لهجة جزائرية عاصمية ولهجة سورية، وكانت العامية اللغة الأكثر حضورا خاصة في حوار الشخوص، وقد جاءت في أشكال قولية متنوعة، ففي اللهجة الجزائرية حضر المثل مثل "عاشْ ما كسبْ مات ما خلّى"[25] "يا طبقْ المسكين ما نَاكلكْ، ما نخلّي اللّي ياخذك"[26]، وهما مثلان شائعان في العامية الجزائرية. كما يحضر نص الأغنية الشعبية، كالنص الذي ارتبط بطفولة الروائي وكلماته كالآتي:

يا النّو صبّي صبّي
ما تصبّيش عليّ
حتّى يجي خويَا حمّو
ويغطيني بالزّربية[27].

كلمة (النّو) تعني المطر. وفعل الأمر (ما تصبّيش) يعني لا تنزلي.

وإلى جانب المثل والأغنية الشعبية نثرت اللغة العامية المحكية تقريبا على كل صفحات رواية (طوق الياسمين). وقد اخترنا على سبيل المثال الجمل الآتية: "يَزّي من التّمَسْخير" "هاذوك النّاس شْكون" "كل واحد وزهره"[28]؛ وتعني الجملة الأولى "يكفي من المزاح" والثانية "من هؤلاء الناس"، والثالثة "كل واحد وحظه".

أما عن اللهجة السورية فجاءت في الرواية على لسان الشخصيات السورية، التي وظفها (الأعرج) في روايته لينقل من خلالها أجوائهم وثقافتهم المحلية، ومثالها: "وَلكْ حبيبي بيكفي، هَيْ الأسطوانة بنعرفها. خاطرك" "مريم شو بك عمّو؟ إذا زَعّلك هالزّلة قولي لا تتحرجي، اخربلو بيته" "يا زلمة خَضّيتنا عليك"[29].

هذا وقد أولى الكاتب عناية باللهجة السورية؛ لأن أحداث روايته وقعت في سوريا فأفرط في استعمالها حتى غطت صفحات بأكملها كالصفحة رقم: (259) من الرواية المذكورة.

بعد تقديم أمثلة عن اللغات المستعملة في نص رواية "طوق الياسمين" والتي آلت به إلى نص هجين؛ ولإبراز الفكرة أكثر سأقدم الهجين اللغوي على مستوى الجمل والنصوص وقد اخترت الأمثلة الآتية[30]:

- "Basta. C'est a dire Basta. Je suis très fatiguée"

"Basta لم أعد قادرة على التحمل"

"مريم؟ واشْ بيكْ؟ ماذا حصل؟ أنا لم أعد أفهم هذا التصرف المفاجئ. يَتَعْبَكْ ويَتَعَّبْني".

".. زورق ABDA الذي ركبه جدي عبد المومن بوقبرين".

"لا شيء. وراس جدي المختار التبسي، لا شيء البارحة سيلفيا خرجت زَعْلانَة. أولا لأن والدها يريد تزويجها في الصيف القادم فاقترحت علي أن نهرب.. في الطريق عرفتني على اسمي أختيها ووعدتني أن تزورني وأن نسهر مع بعض في أقرب وقت. والله راح نحيك. حتى أنا قلبي تعمّر بالهم. حابة نحكي معك ونغني مثل أيام زمان...".

"شو؟ ماعم تسمع؟ مريم عادت يا أخي؟ ما يهزك هيك كلام؟ قالت سيلفيا مرة أخرى بحدة ظاهرة، وهي تضع الكباب والفتّوش والكوسا المحشية التي حضرتها طوال الفترة المسائية في بيتي، على كومة الصحف اليومية التي فتحناها على آخرها..".

نلاحظ أن هذه الجمل والنصوص هجينة لغويا؛ لأنها جمعت بين لغتين فأكثر كالجمع بين اللغة الإسبانية والفرنسية أو الإسبانية والعربية الفصحى أو العامية والعربية الفصحى.. إلخ. ونقف في الأخير على أن الهجين اللغوي ظاهرة سلبية، ترتبط بالتساهل في التعامل مع اللغة، الذي يطال استخدامات اللغة العربية في الخطاب الروائي، إذ يعتمد على مزيج من اللغات الدخيلة، تجاهلا منه للغة العربية الفصحى، فيقع حينئذ التجاوز في حق هذه اللغة ومن جهة تستلب باعتبارها اللغة الأصلية لجمهور القراء.

خاتمة

وخلاصة القول أن الهجين اللغوي ظاهرة استفحلت في الكتابة الروائية الجزائرية مؤخرا والنص المدروس طوق الياسمين مثال على ذلك، فبعد تتبع ورصد الهجين اللغوي فيه، توصلنا إلى أنه نص يصطنع شكلا لغويا جديدا، وذلك من خلال التوسل بلغات مختلفة، والعمل على إدماجها في لغة واحدة للخروج بنوع روائي جديد، ومع ذلك فهو نوع فاقد لخصوصيته اللغوية وبالتالي هويته، وبالتالي لا يمكن اعتبار الهجين اللغوي إلا ظاهرة سلبية تجعل النصوص الروائية العربية تتخلى عن مقوماتها وأهمها الموروث اللغوي، الذي يضمن لها استمراريتها ومكانتها الحضارية، ويمكن استخلاص نتائج هذا البحث أيضا كالآتي:

- يكتسي موضوع الهجين اللغوي موضعا مهما في الدراسات اللغوية، وهو عملية مزج أو خلط بين لغتين أو أكثر، ويعد واحد من الموضوعات المهمة، التي تندرج ضمن القضايا المتعلقة بالهوية والموروث والأصالة.
- فالهجين اللغوي ظاهرة خطيرة، تعمل على تحريف اللغة الأصلية عن قواعدها ونظامها اللغوي الخاص بها، وفي النص الروائي يعمل على تغريب لغته وهويته التي ينتمي إليها وبالتالي يصعب على القارئ التعرف على انتمائه.
- والهجين ظاهرة سلبية في النص الروائي، واستعمال لغة هجينة يعد تجاوز في حق اللغة العربية ويشكل خطورته على اللغة الوطنية للأمة العربية، ومنه يجب الالتفات إلى هذه الظاهرة ومحاربتها حتى لا تستفحل وتصبح ظاهرة عادية.

الهوامش والإحالات

(1)– المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مادة (هجن)، مكتبة لبنان ناشرون، دط، دت، ص 931.

(2)– ابن منظور: لسان العرب، مادة (هجن)، دار صادر، ط1، لبنان، 1997م، ص 311.

(3)– المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مادة (لغا)، ص830.

(4)– أبي الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1 مج1، لبنان، 2001م، ص87.

(5)– بن يشو جيلالي: "نحو تخطيط لغوي لتهذيب لغة الإعلام في الجزائر"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية (التخطيط اللغوي في الجزائر)، دط، الجزائر، 2011م، ص332.

(6)– نجوي فيران: لغة التخاطب العلمي الجامعي –دراسة سوسيو لغوية– جامعة سطيف أنموذجا أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، ص 117.

(7)– محمد محمد داود: اللغة كيف تحيا؟ ... ومتى تموت؟، دار النهضة، دط، مصر، 2016م، ص 129.

(8)– بركات وائل: نظرية النقد الروائي عند ميخائيل باختين، منشورات مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، عدد:03، المجلد: 14، سوريا، 1998م، ص72.

(9)– المرجع نفسه: ص69.

(10)– ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، ط1، لبنان، 1987م، ص 104.

(11)– المرجع نفسه: ص 39/38.

(12)– حمدي السّكّوت: قاموس الأدب العربي الحديث، دار الشروق، ط2، مصر، 2009م، ص 606.

(13)– مجد البرازي: مشكلات اللغة العربية المعاصرة، مكتبة الرسالة ، ط1، عمان، 1989م، ص55.

(14)– واسيني الأعرج: طوق الياسمين(رسائل في الشوق والصبابة والحنين)، المركز الثقافي العربي، ط1 المغرب، 2004م، ص15 وص22.

(15)– نهاد الموسى: اللغة العربية في العصر الحديث، عمّان، دار الشروق، الأردن، 2007م، ص29.

(16)– محمد مروان: من أي لغة اشتقت اللغة الفرنسية، على الموقع: https://mawdoo3.com/ بتاريخ 2021/12/26م، على الساعة 23:30.

(17)– الرواية: ص 250/200/24 على التوالي.

(18)– الرواية: ص 191/180/26 على التوالي.

(19)– الرواية: ص 28.

(20)– الرواية: ص 61.

(21)– أفراح ملاعلي: هل تعلم أن "الإسبانية" هي اللغة الرسمية لأكثر من 20 دولة؟، على الموقع: https://arabic.cnn.com/entertainment/2015/01/19/opinion-afrah-spanish-language، بتاريخ: 2021/12/26، على الساعة: 14:24.

(22)– بسمة حسن: تاريخ اللغة الإنجليزية، على الموقع: https://www.almrsal.com/post/773388 بتاريخ: 2021/12/27م. على الساعة 08:09.

(23)– المرجع نفسه: 154/153.

(24)– علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار النهضة مصر، ط7، مصر، 1972م، ص 154/153.

(25)– الرواية: ص10.

(26)– الرواية: ص41.

(27)– الرواية: ص 26/25

(28)– الرواية : ص 173 و179 و220على التوالي.

(29)– الرواية: ص 113 و156 و222 على التوالي.

(30)– الرواية: ص 26 و54 و180 و250 و193/191 و203 على التوالي.